التواجد الكلداني في شمال وادي الرافدين

أبلحد أفرام ساوا

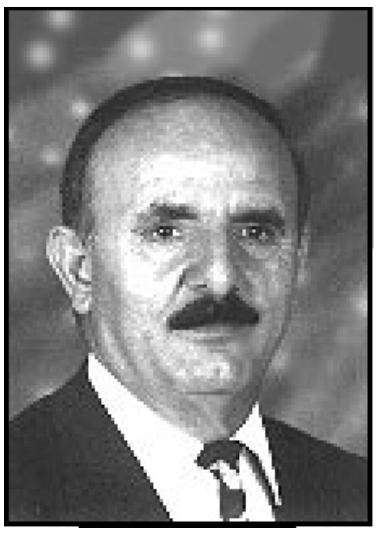

كثيرا ما يسأل البعض قائلين: لما كان الكلدان يسكنون جنوب وادي الرافدين وضفاف الخليج المسمى حاليا بالخليج العربي فما الذي جاء بهم الى شمال وادي الرافدين؟ ولأجابة هولاء نقول: يعود التواجد الكلداني في هذه المناطق (شمال بلاد الرافدين وشمالها الشرقي وشمالها الغربي وشمال غرب ايران وجنوب شرق وجنوب وجنوب غرب تركيا الحالية وبلاد الشام) الى الاف السنين. ففي الالف الثالث قبل الميلاد هاجرت القبيلة الكلدانية التي تعبد الاله اشور من ارض شنعار (بلاد بابل) وتوجهت شمالا حيث استقرت في منطقة شروقاط (شرقاط حاليا) وبعد قرون من الزمن والخضوع لسيطرة الشعوب الاخرى والسلالات البابلية المتعاقبة توجهت نحو تكوين دولة مستقلة ثم بدأت بالتوسع بمرور الزمن على حساب شعب سوبارتو مستغلة ضعف انظمة الحكم المجاورة حتى تحولت ابتداء من النصف الثاني من الالف الثاني ق.م. الى دولة ذات سيادة وقوية يحسب لها حسابها وتمكنت من اخضاع بعض الامارات الكلدانية الحاكمة في القسم الجنوبي من وادي الرافدين وكلما ثارت هذه الامارات ضد الحكم الاشوري قام الملوك الاشوريون باخماد ثوراتهم وترحيل الكثير من سكانها الكلدان الى بلاد اشور.

وكانت اولى عمليات الترحيل للكلدان تلك التي قام بها الملك الاشوري تيكولتي الاول (1244 – 1208 ق.م.) وذلك خلال الفترة (1225 – 1217 ق.م.) حيث رحل عددا كبيرا من الكلدان الى بلاده وتبعه في هذه العملية الملك تجلات بيلاصر الثالث (1115 – 1077 ق.م.) حيث قام هو الاخر بحملة عسكرية على بلاد الكلدان ورحل عددا كبيرا من الكلدان الى بلاد آشور وذلك عام (1083 ق.م.) واسكنهم مناطق متفرقة من بلاده وقام ايضا الملك تجلات بيلاصر الثالث (745 – 727 ق.م.) بعد ان كانت الدولة الآشورية قد تحولت الى امبراطورية كبيرة وقوية بحملات عسكرية كبيرة على الامارات الكلدانية التي كانت تقاوم الغزر الاشوري بشدة ومن تلك الحملات الحملة التي قام بها سنة 731 ق.م. وكان الحاكم على بابل عاصمة الكلدان حينذاك الملك الكلداني (ياكين – زر) من قبيلة آموكاني وتمكن الملك الآشوري من اقتحام بابل في عيد رأس السنة لعام 728 ق.م. ورحل في حملته هذه 155 الف كلداني ووزعهم على مناطق في شمال وشمال شرق وشمال غرب بلاده.

وفي سنة 721 ق.م. استطاع مردوخ-بلادن الملك الكلداني من قبيلة ياكين من تحرير بابل من السيطرة الاشورية ونصب نفسه ملكا عليها وذلك في عهد الملك الاشوري سرجون، غير ان سرجون بعد اخماده جميع حركات التمرد والعصيان في الأقاليم التابعة للدولة الاشورية شن حملة قوية على بابل عام 710 ق.م. وأغار على امارة كمبولو الكلدانية واحتل عاصمتها (دور- ابيجار) وأسر حوالي 17 ألف فرد منهم وأرسلهم أسرى الى بلاده حيث وزعوا على اقاليمها الشمالية والغربية وعلى قرى اطراف نينوى، وفي سنة (707 ق.م) تمكن من احتلال بابل ففر مردوخ – بلادن الى عاصمة قبيلته بيث ياكين (دور – ياكين) غير ان سرجون لاحقه ورغم عدم تمكنه من القبض عليه وعلى مساعديه الا انه احتل عاصمة بيث ياكين وأسر من افرادها 90580 فردا ورحلهم الى بلاده وأحرق العاصمة دور – ياكين وهناك مصادر أخرى تقول بأن العدد كان 108000 فردا ولكن مردوخ بلادن عاد مرة اخرى وتمكن من توحيد الامارات الكلدانية وطرد ممثل الملك الاشوري من بابل وأعلن نفسه ملكا عليها وذلك عام 703 ق.م. في عهد الملك الاشوري سنحاريب. غير ان الملك سنحاريب بعد أن تمكن من بسط سيطرته على كافة أقاليم بلاده قام بحملة كبيرة وقوية جدا على الامارات الكلدانية وبابل العاصمة الرئيسية للكلدان ودمر 88 مدينة وقصبة و800 قرية كلدانية تابعة للامارات بيث داكوري وبيث آموكاني وبيث ياكين ورحل في حملته هذه 208000 فردا كلدانيا منها وجاء بهم الى بلاد آشور حيث وزعهم أيضا على اقاليمها الشمالية والشمالية الشرقية والغربية والقسم منها على اطراف نينوى وهذا العدد من المرحلين فاق مجموع الكلدان المرحلين الى هذه المناطق التي يمكننا حصرها ابتداءا من أورمية في الشمال الشرقي ومنطقة هكاري وامتدادا بأتجاه الغرب حتى انطاكية وفي حوضي دجلة والفرات الشماليين في أقصى الشمال وفي اطراف نينوى جنوبا وشملت المناطق سعرت، مديات و ميافارقين، ماردين، الجزيرة، نصيبين، ديار بكر، انطاكية، ومارسين وأطراف زاخو والعمادية وبروار وهكاري ومن ثم اطراف اربيل ونينوى ودهوك الحالية وسهل سنجار وسهل السليفاني الحالي وبلاد الشام وشملت أطراف نينوى القرى ألقوش، بعشيقة، برطلة، كرمليس، وبشيبا وبغديدا وتلكيبة وتلسقف وباطنايا والقرى الاخرى كما كانت كل من القرى ارادن واينشكي وبامرني والداودية وكذلك القرى الاخرى في أطراف العمادية مجمعات للأسرى الكلدان وكذلك اطراف زاويتة وخاصة قرية بابلو حيث سماها سكانها الاسرى من الكلدان بأسم عاصمتهم بابل وبسب انتشار هؤلاء الكلدان في هذه المناطق انتشرت اللغة الكلدانية الارامية في بلاد آشور حتى اصبحت اللغة الرسمية للدولة الآشورية في عهد سنحاريب (705 – 681 ق.م.).

كان الاشوريون قد سموا مناطق سكنى هؤلاء المرحلين ب (بيث شيبا) أي بيت السبايا وبعد سقوط الدولة الاشورية سنة 612 ق.م. تحرر هؤلاء المرحلين من جميع انواع القيود وقاموا ببناء مجمعات سكنية لهم في تلك المواقع حيث المياه العذبة والاجواء المعتدلة قياسا بأجواء وادي الرافدين الجنوبي، ولما خضعت بلاد وادي الرافدين من جنوبها الى شمالها للسيطرة الكلدانية بعد سقوط الدولة الآشورية أصبحت البلاد بأجمعها بلاد الكلدان واستطاب السكن فيها لجموع اخرى من الكلدان، وبعد سقوط الدولة الكلدانية سنة 539 ق.م. وخضوع البلاد للسيطرة العيلامية قام هؤلاء بأضطهاد الكلدان بسب الثورات التي قاموا بها بهدف تحرير بلادهم من السيطرة العيلامية واستخدم العيلاميون ابشع أساليب القمع بحق الثوار الكلدان ومن ثم قاموا بلاستيلاء على اراضيهم فرحل الكثير منهم شمالا كما قام العيلاميون ببيع المئات من الكلدان كعبيد في بيلاد ميديا وهذا لم يكن مألوفا سابقا، وبعد انتشار المسيحية في وادي الرافدين في العهد الفرثي والفارسي وتنصر الكلدان قام الملوك الفرس بأضطهاد الكلدان المتنصرين ولاسيما في عهد شابور الثاني الملقب بذي الاكتاف الذي دام اضطهاده للمسيحية مدة اربعين عاما (339 – 379) م وبلغ عدد الكلدان الذين ضربهم بالسيف 300 الف شخص لذا هرب الكثيرين من بطشه بأتجاه الشمال كما هاجرت 400 عائلة كلدانية من بلاد بابل الى ولاية ملبار الهندية وذلك سنة 345 م وهناك من يحدد المنطقة التي رحل منها هؤلاء بدير قني (العزيزية الحالية) واتجهت عوائل اخرى بأتجاه الشام وتوجه قسم منها الى جزيرة قبرص وتوالت الاضطهادات في عهد الفرس ضد الكلدان والمسيحيين عامة من جميع الاعراق.

وبعد الفتوحات العربية الاسلامية ورغم ترحيب المسيحيين بها وفي مقدمتهم الكلدان الا انه لم تمض فترة طويلة حتى بدأ بعض الخلفاء والولاة بعملية اضطهاد المسيحيين وبضمنهم الكلدان ليس فقط من خلال البطش والتنكيل وانما بأساليب اخرى ايضا وكانت الجزية التي فرضت على من سموهم بأهل الذمة أحد تلك الاسباب التي ادت الى تدهور أحوالهم وتوقف انتشار دينهم في المناطق التي خضعت للسيطرة الاسلامية لان الكثيرين منهم ما كانوا يتمكنون من تسديد ما كان يفرض عليهم فكانت تتراكم عليهم سنويا فلم يكن لهم بديلا عن حلين: اما دخول الاسلام او التنازل عن عدد من بناتهم او ابنائهم كعبيد لهؤلاء الولاة والحكام كما كانت القيود الأخرى المفروضة عليهم ابتداءا من عهد الخليفة أبي بكر الصديق وانتهاءا بالعصر العباسي بين الحين والآخر كعدم السماح لهم بركوب الخيل او امتطاء الدواب او فرض ازياء خاصة عليهم بحيث يعرفون من بعيد وعدم السماح لهم بالاحتلاق او قص شعرهم كبقية المواطنين المسلمين واحيانا الفرض عليهم بتعليق صليب خشبي كبير في اعناقهم وعدم السماح للنساء المسيحيات بلبس الاحذية وكذلك عدم السماح لهم برفع أصواتهم لا في الافراح ولا في الاتراح ولا في المناسبات الدينية وهذا أدى الى تناقص عدد الكلدان والمسيحيين عامة بشكل هائل من خلال تركهم لدينهم اضطرارا وانصهارهم في بوتقة الآخرين او من خلال عمليات القمع وحملات الابادة الجماعية والهروب الى بقاع نائية طلبا للأمان وكانت جبال شمال وادي الرافدين (كوردستان الحالية) أقرب مأوى لبعضهم وبذلك خلت مناطق ومدن كثيرة في وسط وجنوب بلاد وادي الرافدين من الكلدان النصارى ومنها البصرة وميسان والحيرة والكوفة والنجف والكربلاء وبابل والكوت وبعقوبة والرمادي وسامراء والحديثة وتكريت التي كانت مقر كنيسة اليعاقبة لفترة طويلة والموجود الحالي لهم في بعض هذه المدن يعود الى ما بعد القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين وحتى القرن الثامن عشر، فلا نستغرب تحت ظروف كهذه أن يلجأ كلدان وسط و جنوب البلاد الى جبال كوردستان الحالية حيث يعيش الالاف من بني جلدتهم ولتصبح هذه البلاد ملاذا أمينا وموطنا لهم.

المصادر:

1- العهد القديم – سفر التكوين
2- بطرس نصري – ذخيرة الأذهان / الجزء الأول ص 346
3- حبيب حنونا – الكلدان والتسمية القومية
4- مجلة بين النهرين لسنة 1990
5- لومون الفرنساوي – مختصر تأريخ الكنيسة طبعة 1873 ص 387 – 390
6- مجلة النجم العدد 9 لسنة 1931 ص 412
7- جورج رو – العراق القديم ص 411
8- هاري ساكس – عظمة بابل ص 138 – 151

جريدة الأمة الكلدانية
رئيس التحرير : غسان حنا شذايا
عضو هيئة التحرير مدير مكتب ديترويت : جوزيف كساب

Chaldean Nation Newspaper
PO Box 641985
San Jose, CA 95164 - 1985
Tel : (248) 882 - 1982
Fax : (510) 477- 9844

Email : umtha@chaldeansonline.net
Internet Website :
http://www.chaldeansonline.net/umtha

Editorial Board:
Ghassan Hanna Shathaya , Editor-in-Chief
Joseph Kassab , Board Member - Manager
Detroit Bureau

دعوة الى قرائنا الاعزاء

كما تعلمون فأن جريدة اومثا كلديثا توزع مجانا على ابناء شعبنا وان العاملين فيها لا يتقاضون اية رواتب او مكافئات مالية بل على العكس يغطون بعض تكاليف الطبع والتوزيع، ولهذا فأننا ندعو ابناء شعبنا من رجال الاعمال الكلدان والمخلصين على استمرارية هذا العمل القومي ان اما يستغلوا صفحات الجريدة للاعلان او التبرع ماليا. وجازاكم الله خيرا في خدمة امتنا الكلدانية المجيدة.